

(١)

خطورة الشائعات وتزييف الوعي

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم ، وباركْ عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،

وبعد :

فإن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم قدم البشرية ، وهو مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وإن من أبرز وسائل أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق : صناعة الشائعات ، وترويجها بين الناس .

ومما لا شك فيه أن الكلمة أمانة ومسئولية عظيمة ، سواء أكانت مقروعة ، أم مسموعة ، أم مرئية ، والشائعات ما هي إلا كلمة تنتشر بين الناس ، يطلقها صاحب قلب مريض ، أو هيئة أو منظمة من قوى الشر التي تعمل في الخفاء ، وتتناقلها الألسنة وترددها دون تثبت ، أو تبين ، فتؤثر سلباً على العقول والنفوس ، وتنتشر الأفكار الهدامة والمعتقدات الفاسدة ، ويصبح المجتمع ويمسي في قلق وريبة ، بل ويذهب الأمن ، وتضعف الثقة بين الناس ، فترى أمة الجسد الواحد يشكك بعضها في بعض ، ويخون بعضها بعضاً ؛ لذا قال النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) ، فإذا كان التحدث بكل ما يسمعه الإنسان نوعاً من أنواع الكذب يُعاقب عليه الإنسان عقوبة شديدة في الآخرة ، فكيف بمن يتحدث بما لم يره أو يسمعه؟ .

لقد اتخذ الإسلام موقفاً حازماً من الشائعات ومروجيها ، وعدّها سلوكاً منافياً للأخلاق الحسنة ، والقيم النبيلة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ، وذلك حين أمر أتباعه بحفظ

اللسان عن الخوض في ما ينشر الفتنة ويشير الاضطرابات في المجتمع ، وأمرهم بالصدق في أقوالهم ، وحفظ ألسنتهم ، والتثبت من كل ما يصل إلى أسماعهم حتى لا يكونوا سبباً في نشر الفتن ، وإفساد المجتمع ، وتشويه الأعراض ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } ، وقال جلَّ شأنه : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } ، وقال سبحانه : { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } ، وفي حديث معاذ بن جبلٍ (رضي الله عنه) بعد أن بين له النبي (صلى الله عليه وسلم) فرائض الإسلام ، وأبواب الخير ، قال له : (وإن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه) ، قال معاذ : أجل يا رسول الله. قال : (أما رأس الأمر فالإسلام ، وأما عموده فالصلاة ، وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله ، وإن شئت أنبأتك بذلك كله) ، فقال : ما هو يا رسول الله؟ قال : (فأهوى بإصبعه إلى فيه) ، قال : فقلت : يا رسول الله ، وأنا لنؤاخذ بما نقول بالسنن؟ قال : (تكلمت أمك ، هل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصيد ألسنتهم؟) .

إن نشر الشائعات وترويجها هو سلوك المنافقين في الوصول إلى مآربهم وأهدافهم بزعة الأمن ، واستهداف وحدة الوطن ، وإضعاف نمو اقتصاده ، والنيل من استقراره وسلامته ، وبث روح الإحباط واليأس والتشاؤم في نفوس المواطنين عموماً والشباب على وجه الخصوص ، ولقد سماهم القرآن الكريم المرجفين : لأن الإرجاف يقصد به الخوض في الأخبار السيئة والفتن التي من شأنها أن تحدث الاضطراب الشديد في المجتمع ، قال تعالى : { لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا } .

والشائعات إحدى وسائل الحروب التي لم يسلم منها النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقد حارب المشركون النبي (صلى الله عليه وسلم) بترويج الشائعات للنيل من دعوته

وتشويه صورته ، فأشاعوا بين الناس كذباً أنه (صلى الله عليه وسلم) ساحر ، قال تعالى: {وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} ، وادّعوا بهتاناً أنه شاعر ومجنون ، قال تعالى: {وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَنَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} ، وتارة أشاعوا أنه كاهن ، فرد الله تعالى عليهم كذبهم وافتراءهم ، قائلاً: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَزْيِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} .

وفي يوم أحد أشاع المشركون مقتل النبي (صلى الله عليه وسلم) رغبةً منهم في تفريق المسلمين ، وإضعاف قوتهم ، فاضطربت صفوف المسلمين وضعفت قواهم النفسية، وفرَّ بعضهم ، وألقى بعضهم السلاح ، وثبت بعضهم مع النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وفي يوم حمراء الأسد أشاع المشركون أن قريشاً قد جهزت جيشاً كبيراً لمهاجمة المدينة ، ومحاربة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، إلا أن المسلمين ثبتوا على دينهم ، ولم تنل منهم تلك الشائعات ، فأثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخِشُوهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} .

وفي يوم حنين حين أشيع أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد قُتل، فوقف (صلى الله عليه وسلم) في وجه هذه الشائعة ، قائلاً: (أنا النبيُّ لا كَذِبُ ، أنا ابنُ عبدِ المطلبِ).

إن في ترديد الشائعات وترويجها من الخطورة ما لا يخفى على العقلاء من استباحة الدماء والأموال والأعراض واضطراب الحياة ، ولنا في مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) خير دليل وشاهد على ذلك ، فقد حاصره المجرمون بسبب

(٤)

الشائعات والأراجيف التي أطلقها عبد الله بن سبأ اليهودي ، بل ومنعوه من شرب الماء وهو الذي اشترى بئر رومة من خالص ماله ، فعن نائلة زوج عثمان (رضي الله عنه) قالت: لما كان اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ظل في اليوم الذي قبله صائماً ، فلما كان عند إفطاره ، سألهم الماء العذب فلم يعطوه ، فنام ولم يفطر ، فلما كان وقت السحر أتيت جارات لي ، فسألتهن الماء العذب ، فأعطوني كوزاً من ماء ، فأتيته فحركته فاستيقظ ، فقلت: هذا ماء عذب ، فرفع رأسه فنظر إلى الفجر ، فقال: إني قد أصبحت صائماً ، وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اطلع عليّ من هذا السقف ومعه ماء عذب ، فقال: (اشرب يا عثمان) ، فشربت حتى رويت ، ثم قال: (ازدّد) ، فشربت حتى نهلت ، ثم قال: (أما إن القوم سيكثرون عليك فإن قاتلتهم ظفرت وإن تركتهم أفطرت عندنا ، فدخلوا عليه من يومه فقتلوه).

وفي عصرنا الحاضر تغيرت معطيات كثيرة ، وأخذت هذه الصناعة الخبيثة أشكالاً مختلفة وصوراً متعددة ومتنوعة ؛ نظراً لما يشهده العالم من تطور كبير وسريع في وسائل التواصل والتكنولوجيا ، حيث أصبحت الإشاعة أوسع انتشاراً ، وأسرع وصولاً ، وأكثر تأثيراً ، بل وأصبحت وسيلة من وسائل الحروب وأساليبها ، فلم تعد الحرب أحادية البعد ، أي أنها لم تعد عسكرية محضة ، أو أمنية محضة ، ولا حتى مخبرائية محضة بالمفهوم التقليدي للنظم المخبرائية القديمة ، فقد تطورت أساليب الحروب ، من حيث منهجة استخدام سلاح الشائعات وتزييف الوعي الذي صار أمراً يُدرس ويتم التدريب عليه من قبل بعض الجهات المشبوهة ، وتوظف له الكتائب الإلكترونية ، مع استخدام أقصى وسائل الحصار والضغط السياسي والاقتصادي والنفسي ، والمحاولات المستميتة في إثارة الشعوب وتأليبها على حكامها ، وتشويه الرموز والمكتسبات الوطنية ، والتشكيك في كل الإنجازات والتهوين من أمرها ، وتحالف الجماعات والقوى الإرهابية ، ومحاولات

(٥)

اختراق المؤسسات ، وإثارة أي نغرات تؤدي إلى الفرقة بألية مدروسة وغير مسبوقه ، مع التوظيف المدروس للمعلومة ، وتجنيد بعض وسائل التواصل الحديثة بل الكثير منها ، واللعب على وتر الحاجة والمصالح الآنية التي لا يحتمل بعض الناس الصبر عليها ، ومحاولة كسر إرادة الشعوب ، والعمل على كسر هيبة الحكام ، والتشكيك في العلماء والمفكرين والمثقفين الوطنيين ، ودعم مناوئهم ، وتوجيه رسائل التهديد المبطنه تارة والصريحة تارة أخرى للمتمسكين بمبادئهم المخلصين لأوطانهم ، بإبراز مصائر من لم يسر في الركب وينضم للمخطط الآثم ، ويرفع راية التسليم ويركع ويركع من خلفه .
ومما لاشك فيه أن قضية الصمود في وجه كل هذه الموجات العاتية أمرٌ يحتاج إلى عقيدة إيمانية ووطنية صلبة ، وثقة في الله غير محدودة ، ذلك أن كثيراً من الناس ربما يستهين بما يقوم به من مشاركة لبعض الأخبار ، أو الإحصائيات ، أو القصص دون التوثق منها ، أو التحقق من مصدرها ، فيكون ممن شارك في بث الفتنة وإشعالها ، ورب كلمة كاذبة لا أساس لها من الصحة يقولها العبد أو يكتبها أو يشاركها تبلغ الآفاق فتكون سببا في عذابه يوم القيامة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ) (صحيح البخاري).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام :

لقد وضع الإسلام منهجاً حكيماً لوقاية المجتمع من الشائعات ، من أهم ملامحه :
*** وجوب الثبوت من الأخبار والتأني قبل نشرها في المجتمع ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحُوا عَلَيْهِ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التَّائِي مِنَ اللهِ ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ) ، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ) .**

*** عدم ترديد الشائعة عبر أي وسيلة من الوسائل مقروعة أو مسموعة أو مرئية ؛ لأن في ترديدها إسهام في ترويجها ونشرها ، فالشائعات تزداد انتشاراً إذا وُجِدَتْ ألسنة ترددها ، وآذان تصغي إليها ، ونفوس تتقبلها وتصدقها ، قال تعالى : { إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ } ، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) .**

*** ضرورة التماسك بين أبناء الوطن الواحد وتقديم حسن الظن عند سماع الشائعات ، وعدم التسرع في اتهامهم ، قال تعالى : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } ، فالمسلم مأمور بأن يحسن الظن ، وأن يحمل ما يصدر عن الآخرين على محمل حسن ؛ لأن سوء الظن مرض فتاك يؤدي إلى اضطراب الحياة ، ونشر الخصومة بين الناس ، ولقد حذر النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من ذلك بقوله : (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلَا تَحَسَّسُوا ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا) .**

*** الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص في بيان الحقائق ، وعدم التعجل في الحكم على الأمور ، قال تعالى في وصف المنافقين : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا**

(٧)

بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } ، أي : إنهم كانوا يتربصون بأمن واستقرار مجتمع المدينة ، فإذا ما سمعوا شيئاً من الأخبار التي تتعلق بأمن المسلمين أو خوفهم أذاعوها ، أو أظهروها بقصد إشاعة الفرع والقلق والاضطراب .

فلينتفض كل مؤمن غيور على دينه ، مخلص لوطنه للتصدي لتلك الشائعات ، وتكذيبها ، قال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، ولنعلم أن الكلمة أمانة سُئِلَ عنها أمام الله تعالى يوم القيامة .

ولندرك جميعاً أن أعداءنا قد اتخذوا من حروب الجيل الرابع والجيل الخامس ، ومن حرب الشائعات وتشويه الإنجازات والرموز الوطنية ، ومحاولات النيل من كل ما هو وطني سبيلاً لإفشال دولنا ، أو إسقاطها ، أو تفتيتها ؛ لتحقيق أغراضهم ومآربهم ، فعلىنا أن ندرك أننا أمام حرب ضروس تُحاك لنا ، والشائعات وقودها ، فيجب أن نتحقق وأن نشبت حتى لا نسقط في مكائد أعدائنا ، ويجب أن نثق في أنفسنا وفي قيادتنا وفي جيشنا وشرطتنا ، وألا نعطي أسماعنا لأعداء الوطن ، ومن يعملون على النيل منا ، أو من معنوياتنا ، أو يفكرون في إحباطنا وبث روح اليأس بيننا ، وذلك يتطلب منا تحصين شبابنا ومجتمعنا بالوعي بالواقع ، والإلمام بحجم التحديات التي تواجهنا ، ومحاولة الإسهام في حلها .

**اللهم حسن أخلاقنا ، واحفظ مصرنا ، ووقفنا لما تحب وترضى
اللهم احفظ مصر وأهلها من كل مكروه وسوء**